

## المتن

**المثال الخامس والسادس:** قوله - تعالى - في سورة الحديد "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ" [الحديد:4] وقوله في سورة المجادلة: "وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا" [المجادلة:7].

## الشرح

يقول الله تعالى "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" [الحديد:4].

فقال أهل التاويل: إن ظاهر الآية؛ أن الله معنا بذاته وأتم تقولون: إن الله معنا بعلمه فأخرجتم الآية عن ظاهرها وأولتموها؛ وهذا حجة عليكم لنا في تأويلنا؛ لأنكم قلتم إنه معنا بعلمه لأن معنا بذاته لا يمكن أن يكون معنا بذاته حالاً في الأرض وفي كل مكان تقع فيه.

كذلك في قوله في سورة المجادلة "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [المجادلة:7] قالوا: فقوله "إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا" ظاهره أنه معهم في أمكنتهم؛ وأتم يا

أهل السنة تقولون أنه معهم بعلمه وليس بذاته؛ فأخرجتم الآية عن ظاهرها. فكيف تُخرجون ما شئتم من النصوص عن ظاهره؛ ثم تُنكرون علينا ما أخرجناه من النصوص عن ظاهره؟ وهل هذا إلا صيدٌ منكم. فإما أن توافقونا على ما أولناه وإما أن تسكتوا عنا

على الأقل. طيب إذا وجه كون ذلك مما لبس به أهل التعطيل؛ أنهم يقولون إن ظاهر الآيتين أنه معنا بذاته في نفس المكان وأتم أخرجتموها عن هذا الظاهر إلى أنه معنا بعلمه وأن الذي معنا علمه لا نفسه فهذا إخراج للآية عن ظاهرها واضح الآن؟ فالجواب:

### المتن

والجواب: أن الكلام في هاتين الآيتين حق على حقيقته وظاهره. ولكن ما حقيقته وظاهره؟

### الشرح

نقول لهم: نحن لم نُخرج الآيتين عن ظاهرهما؛ ولا أخرجناهما عن حقيقتها؛ ونقول إن الله - سبحانه وتعالى - معنا على ما يقتضيه ظاهر اللفظ؛ ولكن نختلف معكم في ظاهر اللفظ.

فأتم تقولون: إن ظاهره أنه مع خلقه معية تقتضي أنه مختلط بهم وحال في أمكتهم. هذه دعوى من؟ دعوى أهل التعطيل؛ يقولون إن ظاهر الآيتين أن الله سبحانه وتعالى - معنا مختلط بنا حال في أمكتنا كما تقول فلان مع فلان؛ أين يكون فلان؟ في نفس المكان إذن فظاهر الآيتين الكريمتين أن الله معنا في نفس المكان.

يقولون هذا هو الظاهر. نحن نقول لهم: ليس هذا هو الظاهر وليس هذا هو ظاهر الآيتين أبداً. ولهذا نقول:

## المتن

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله - تعالى - مع خلقه معية تقتضي أن يكون مختلطًا بهم، أو حالًا في أمكتهم؟  
أو يقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله - تعالى - مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطًا بهم : علمًا وقدرة، وسمعاً وبصرًا، وتدبيرًا، وسلطانًا، وغير ذلك من معاني ربوبيته مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه؟

## الشرح

أي القولين يقال في الآية؟ الثاني قطعًا؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - في نفس الآية في سورة الحديد: "وَالَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" وأين العرش؟ في العلو فوق كل المخلوقات "يَعْلَمُ مَا يَلْبِغُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجُحُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ" لوقلنا معنا في مكاننا لكان الآية يُناقض آخرها أولها لأن أولها يقول "اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ" وآخرها يقول "وَهُوَ مَعَكُمْ" فلو قلنا إنه معنا بذاته في الأرض تناقضت الآية وصار آخرها مُناقضًا لأولها". لكننا نقول الآية تدلُّ على أن الله معنا وإن كان في السماء مستوى على العرش ولا مانع من أن يكون معنا وهو مستوٍ على العرش لأن معية الله - سبحانه وتعالى - ليست كمعية المخلوق للمخلوق بل هي معية تليقُ بجلاله - سبحانه وتعالى - لا تشبهه أو لا تماثل معية المخلوق للمخلوق. كما أن علمه ليس كعلم المخلوق وقدرته ليست كقدرة المخلوق فكذلك معيته ليست كمعية المخلوق فجاز أن يكون معنا حقيقة هو نفسه وهو في السماء ولا مانع

من ذلك لأن الله مُحيط بكل شيءٍ ولا يُمكن أبدًا أن تصفَ الله تعالى أو تظن أن صفات الله كصفات المخلوق.

ألم تعلم أن الله يقول لكلِّ مُصلٍ إذا قال "الحمدُ لله ربِّ العالمين" قال: حمدني عبدي وإذا قال "الرحمن الرحيم" قال: أثنى علي عبدي وإذا قال "مالك يوم الدين" قال: مجدني عبدي وإذا قال "إياك نعبدُ وإياك نستعين" قال: هذا بيني وبين عبدي نصفين.. إلى آخر الحديث كم من مُصلٍ في العالم يقول هذه الكلمة وصاحبه يقولها في نفس اللحظة؟ نعم كثير ولنفرض أننا في الحرم المكي كم يُقدر الذين في الحرم؟ يصلون خمسة عشرة ألف؛ في الحج أو العمرة؟ المهم إذا امتلأ الحرم والأرواق اللي فيه يمكن تبلغ خمسة عشرة ألف كلهم يقولون "الحمدُ لله ربِّ العالمين" وكلهم يُقال لهم: حمدني عبدي. هل يمكن أن يُتصور أن يقع هذا من مخلوق؟ لو كان كل واحد يتكلم كل اللي يُخاطبونا؟ يقدر يكلم اللي يُخاطبونا كلهم في لحظة واحدة؟ ما يقدر. فصفات الله-سبحانه وتعالى-لا يمكن أن تُقاس بصفات المخلوقين أبدًا.

فإذا قلنا: إن الله معنا هو نفسه وهو في السماء فلا مانع؛ بل هذا هو الواجب وذلك لدلالة الكتاب والسنة عليه. هذه المعية ما تقتضي أن يكون معنا مُختلِطًا فينا؛ أو حالًا في أمكنتنا؛ كما يقوله حلولية الجهمية. حلولية الجهمية أخطأوا في فهم الآية حيث ظنوا أنه معنا مُختلِطًا بنا حتى أنهم يقولون: إنه مُختلِط في الإنسان وفي الحمار وفي البهيمة في كل شيء وحالٌ في أمكنتنا وهذا ولاشكُّ إنه كفرٌ، على كل حال نقول ليس معنى الآية كما زعم هؤلاء أنه مُختلِطٌ بالخلق وأنه حالٌ بأمكتهم بل إنه- سبحانه وتعالى- معهم معية حقيقية تقتضي الإحاطة بهم؛ علمًا وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك. فعلى هذا

هل نحنُ أخرجنا الآية عن ظاهرها؟ أبدًا لم نُخرج الآية عن ظاهرها ولم نتأولها؛ حتى لو قال قائلٌ: إنَّ من السلف من فسَّر المعيةَ بالعلم وقال "وهو معهم" أي وهو عالمٌ بهم. وهذا لاشك إخراجٌ لها عن ظاهرها لأن هناك فرقٌ بين قوله: "وهو معهم" وبين قوله: "وهو عالمٌ بهم" فرق كبير؛ لأن المعية أشملُ دلالةً من العلم فهي تقتضي العلم والسمع والبصر والقدرة والسلطان والتدبير والتصرف إلى ما لا نهاية له من معاني الربوبية؛ والعلمُ معنى خاصٌ.

نقول: إذا كان بعضُ السلف فسرها بهذا فقد فسرها ببعض لوازمها. والتفسير باللازم أو بعض اللازم لا يمنع من التفسير بدلالة المطابقة؛ لأن أنواع الدلالات كم؟ ثلاثة: مطابقة وتضمن والتزام. فهب أنهم فسروها بالعلم فإن ذلك لا يقتضي أن يكون إخراجًا لها عن ظاهرها لأن العلم من بعض لوازمها؛ والتفسير باللازم تفسيرٌ بمدلول اللفظ؛ لأن مدلول اللفظ إما أن يكون داخلًا في دلالة التضمن أو دلالة المطابقة أو دلالة الالتزام. ثم إنهم هم يُخاطبون قَوْمًا يقولون إن الله معنا بذاته مختلطًا بنا وحالاً في أمكنتنا فيريدون أن يُبينوا للناس أن هذا المعنى باطلٌ.

وقد أشار إلى ذلك عبد الله ابن المبارك - رحمه الله - حيث قال: لا نقول كما تقول الجهمية إنه ها هنا في الأرض. فبيِّن أن المراد بذلك نفي ما ادعوه من كونه معنا في نفس المكان فإن هذا باطلٌ ولا يمكن أن يُقره عقلٌ فضلاً عن شرع. فصار احتجاج هؤلاء المعطلة علينا أو أهل التأويل بما فسره بعضُ السلف من "العلم" احتجاجٌ أيضًا باطلٌ حتى لو فسرها بالعلم وجهٌ ذلك أن العلم بعضُ اللوازم والتفسير باللازم تفسيرٌ صحيحٌ؛ ولكنه لا ينفي التفسير بدلالة المطابقة.

وقد صرح شيخ الإسلام ابن تيمية كما سيأتي أظن هنا في العقيدة الواسطية: أن الله - سبحانه وتعالى - معنا حق على حقيقته ؛ وأنه لا يحتاج إلى تحريف ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة.